الكتاب الخامس

«الإسلام يتحدى»

(مدخل علمى إلى الإيمان)

لفضيلة الشيخ وحيد الدين خان(*) **مراجعة: أ. د. زغلول راغب محمد النجار**

يشتمل الكتاب الذى يقع فى ٢٨٧ صفحة على أبواب تسعة بالإضافة إلى تمهيد وفهرس وقائمة بالمراجع، وفيما يلى عرض موجز لما ورد فى كلٍّ من هذه الأبواب:

الباب الأول: (قضية معارضى الدين)

بدأ المؤلف هذا الباب بجملة مقتطفة عن «جوليان هكسلى» أحد الذين حملوا لواء الإلحاد فى هذا العصر، وانتقل بعد ذلك إلى تقسيم تطور الفكر الإنسانى كما أورده «أوجست كنت»، ثم عرج إلى تلخيص الحجج التى يستند إليها معارضو الدين، **وأولاها:** ما هو مستمد من بعض المشاهدات فى مجال العلوم البحتة، وأساسه الظن الخاطئ الذى أشاعه بعض الكتاب بعد اكتشاف عدد من قوانين الطبيعة، فتنادوا بأنه «إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة».

(*) تأليف المفكر المسلم المعاصر وحيد الدين خان، تعريب ظفر الإسلام خان، مراجعة الدكتور عبد الصبور شاهين، نشر دار البحوث العلمية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م الطبعة الأولى، والإشارة هنا إلى الصفحات وفقًا لهذه الطبعة الأولى.

obeikandl.com

وثانيتها : مستمد من بعض الاستنتاجات فى مجال العلوم النفسية، والتى بنيت على شعار باطل مؤداه «أن الدين نتاج اللاشعور الإنسانى، وليس انكشافًا لواقع خارجى».

وثالثتها: مستمدة من «التاريخ حيث نادى معارضو الدين خطأ بأن الدين ما هو إلا نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته، وأن القضايا الدينية ما وجدت إلا لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان، وأن كل القيم الأخلاقية هى فى تحليلها الأخير من صنع الظروف الاقتصادية».

وقد جاء عرض هذه القضايا بصورة موضوعية متجردة، فى محاولة لطرح القضية على بساط من الحيدة، وهنا أود أن أقول إنه ربما كان من الأفضل لو استهل الكاتب هذا الباب باستعراض تاريخى موجز لقضية الدين عبر التاريخ بدلاً من بدئه من نقطة المعارضين مباشرة، فالإيمان سابق على الكفر، وهو فطرى فى النفوس، أما المروق والكفر والإلحاد فهى حالات مرضية عارضة فى تاريخ الإنسانية مردها الهوى والاستهتار، والرغبة فى الخروج على كل ما ينظم حياة البشر، ومن أسبابها الرئيسة موقف الكنيسة فى العالم الغربى بصفة خاصة من رجال العلم فى القرون الوسطى وحتى مطلع القرن العشرين، مما أوجد عداء تقليديّا بين كثير من المفكرين والمشتغلين بالعلوم وبين الدين.

الباب الثانى: (نقد قضية المعارضين)

وهنا يرد المؤلف على الحجج التى أوردها فى الباب الأول، فيذكر فى رده على المعارضين الذين ينطلقون من زاوية العلوم البحتة بأن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له، بينما الدين يبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية التى تدور وراء الكون، وعلى ذلك فإن اكتشافات العلوم لا تتوصل إلا لبعض صور الهيكل الظاهرى للكون ولا تستطيع أن تنفذ إلى ما وراء ذلك، وأن العلم لا يكشف لنا كيف صارت وقائع الكون قوانين؟ ولا كيف قامت هذه الوقائع بين الأرض والسماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة، حتى إن العلماء استطاعوا أن يستنبطوا منها قوانينهم العلمية؟ والحقيقة أن ادعاء الإنسان بعد كشفه لبعض قوانين الطبيعة أنه قد اكتشف سر الكون

ليس سوى خدعة لنفسه، فإن الطبيعة لا تفسر شيئًا من الكون، وإنما هي نفسها بحاجة إلى تفسير، وفي ذلك يقول الأستاذ «هاريس» في نقد نظرية النشوء والارتقاء: «إن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية بقاء الأصلح، ولكنه لا يستطيع أن يفسر حدوث هذا الأصلح».

ثم ناقش حجج المعارضين الذين ينطلقون من زاوية العلوم النفسية وادعاءهم دون استدلال واضح على «أن الإله والآخرة قياس للشخصية الإنسانية وأمانيها على مستوى الكون»، وأردف أن من معايب الفكر الحديث أنه يستنبط من حادث عادي دليلاً غير عادي، وأن اللاشعور الإنساني في أصله فراغ، لا شيء فيه قبل مولد الإنسان، وإنما يستقر فيه عن طريق الشعور ما يشغله الآن؛ لأن اللاشعور ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التي جمعها الإنسان أو شاهدها خلال حياته، وعلى ذلك فمن المستحيل أن يختزن حقائق لم يعلمها من قبل، والذي يثير الدهشة أن الدين الذي جاء على ألسنة الأنبياء يشتمل على حقائق أبدية لم يشاهدها أحد من الناس، فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات فمن أين يأتي بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا سبيل لهم إلى العلم بها إلا بوحي من السماء. ويضيف أن الدين الذي جاء به الأنبياء يتصل من ناحية أو أخرى بجميع العلوم المعاصرة في عرض صادق لم يستطع أحد أن يدل على باطل جاء فيه، بينما كل حديث في التاريخ الإنساني مصدره الشعور - فضلاً عن اللاشعور - لا يخلو من الأغلاط والأدلة الباطلة، ولقد مرت قرون إثر قرون أبطل فيها الآخرون ما ادعى الأولون، وما زال صدق كلام النبوة باقيًا على مر الزمن.

وردًا على المعارضين الذين ينطلقون من زاوية التاريخ يذكر المؤلف أن خطأ هؤلاء الرئيس أنهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح؛ لأنهم يتناولونه على أنه مشكلة موضوعية، بينما الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع كاملة أو ناقصة أو يرفضها، ويبقى الدين في جميع هذه الأحوال حقيقة واحدة في ذاتها.

وناقش المؤلف تباين أفكار الباحثين الاجتماعيين بين فكرة تعدد الآلهة إلى فكرة دين الإله الواحد إلى فكرة الدين بغير الإله، وفند ادعاءهم أن فكرة الإله شكل ارتقائي لفكرة تعدد الآلهة، وبيّن أن هذا خلط واضح: حيث إن الوحدانية أقدم بكثير من فكرة الشرك. وتعرض بعد ذلك لفكر «ماركس» وتهجمه غير المنطقي على الدين ونفيه إرادة

الإنسان ، وإحالته الأحداث كلها إلى تأثير عوامل الزمن الاقتصادية ، ورد المؤلف على ذلك بأن حقيقة الدين وسفسطة المعارضين تتجلى بوضوح حين نطالع صورة الحياة الإنسانية فى ضوء الدين ، ونطالعها فى الصورة التى يرسمها المعارضون لفكرة الدين ، فصورة الحياة الإنسانية فى ضوء الدين صورة جميلة لطيفة ، تتوافق مع أفكار الإنسانية السامية ، كما يتوافق الكون المادى مع القوانين الرياضية ، بعكس الصورة التى يرسمها معارضو الدين . فالكون فى ضوء الفكر المادى يكاد يفقد أهدافه كلها ولا يبقى غير الظلام الحالك الذى تتلاشى فيه معايير الخير والشر ، أما الدين فهو للإنسان الضوء والأمل ، الموت والحياة فيه مرتبطان بأهداف معينة ، وكل القيم والأفكار الإنسانية السامية تجد لها مكانًا فيه ، وإذا كان بعض العلماء يطمئن إلى أنه قد توصل إلى الحقيقة بمجرد تصديق القوانين الرياضية لأفكاره ، فإن تصديق العقل الإنسانى للدين لدليل قطعى على أنه الحقيقة التى فطر الله عليها الإنسان ، ولذلك فإنها كلما غابت عن المجتمع بحثت عنها الفطرة الإنسانية ، وعندئذ لا نجد أساسًا واقعيًا لإنكار قيمة الدين . إلا أنه يبدو ـ كما يقول «سير جيمس جينز» : «إن فى عقول المعارضين تعصبًا يرجح التفسير المادى للحقائق» . وضرب المؤلف أمثلة عديدة على ذلك منها قول «سير آرثر كيث» : «إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميًا ، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ، ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص مباشرة ، وهذا ما لا يمكن حتى مجرد التفكير فيه» .

وفى الرد على ذلك التعصب الأعمى يقول العالم الأمريكى «جورج بلونت» : «إن كون **العقيدة** الإلهية معقولة ، وكون إنكار الإله سفسطة لا يكفى ليختار الإنسان جانب **العقيدة** الإلهية ، فالناس يظنون أن الإيمان بالله سوف يقضى على حريتهم ، تلك الحرية العقلية التى استعبدت عقول العلماء واستهوت قلوبهم ، وعلى ذلك فإن أية فكرة عن تحديد هذه الحرية مثيرة للوحشة عندهم» .

ولم يخل هذا الباب من بعض الملاحظات التى من أهمها ما يلى :

١ ـ لا يوجد شىء اسمه حقيقة الطبيعة (ص ٤١ السطر السادس) ؛ لأن الحقيقة لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، أما مشاهدات الناس فهى مجرد محاولة للتفسير ،

ثم إن لفظة (الطبيعة) ليست ترجمة دقيقة لكلمة (nature) بالإنجليزية؛ فمرادفها الحقيقى هى كلمة (الفطرة).

٢ ـ إن الدليل الذى ذكر فى (ص ٤١ السطر السابع) باسم البيولوجيا هو قانون ينطلق من العلوم البحتة بصفة عامة وليس باسم علوم الأحياء أو البيولوجيا وحدها، كما أن المثل الذى أورده فى صفحة ٤٨، ٤٩ على لسان «برستد»، لا محل له فى مجال المناقشة، خاصة وأن المؤلف لم يورد ردًا على افتراءات «برستد» هذا، وأن هناك الكثير من الردود العلمية فى هذا المجال وكان من الأفضل أن يوضح موقف الفكر العلمى الحديث من الدين، ورد ذلك الموقف إلى الاضطهاد الذى لقيه العلم والعلماء فى أوروبا إبان القرون الوسطى، من الكنيسة حين كانت تفرض أفكارًا بدائية مستمدة من روايات العهد القديم عن خلق كل من الكون والحياة والإنسان أثبت العلم الحديث بطلانها، فبدأ الصراع بين رجال العلم والكنيسة وعُذِّب فيه العلماء، وسجنوا وحرقوا، وقتلوا، وانتهى الصراع بانتصار العلم لأنه يقدم خدمات للإنسان في مجالات عديدة منها الطب، والصناعة، والزراعة وغيرها، فاتخذ العلم الحديث موقف مفاصلة كاملة مع الدين ـ بصفة عامة ـ وليس مع الدين اليهودى أو المسيحى وحدهما. وإذ أضيف إلى ذلك حب الناس أحيانًا فى اتباع أهوائهم مما يجعلهم يحاولون التخلص من أية قواعد تضبط تصرفاتهم وتنظمها، وهم لا يستشعرون أن فى ذلك هلاكًا لهم اتضح لنا بجلاء لماذا أخذت المعارف المكتسبة فى الحضارة المادية المعاصرة هذا الموقف الرافض للدين.

الباب الثالث: (طريقة الاستدلال العلمى)

استعرض المؤلف طريقة الاستدلال العلمى، ولخصها بمحاولة الإنسان التعرف على الحقيقة بالتجربة، والمشاهدة، والاستنتاج، بينما تتصل عقائد الدين بعالم ما وراء حواسنا، ولا يمكن إخضاعها للتجربة، ثم استطرد إلى تعريف التجربة والقياس، وأن هناك من الحقائق ما هو محسوس مدرك، ومنها ما هو مستنبط غير مدرك، وأن حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل، والكثير منها مستنبط على طريق التعليل، وهذا المنهج صحيح؛ لأن الكون نفسه عقلى، فالكون كله مرتبط بعضه ببعض،

حقائقه متطابقة ونظامه عجيب، ولهذا فإن أية دراسة للكون لا تسفر عن ترابط حقائقه وتوازنها هى دراسة باطلة، واستشهد على بذلك بتعبير «ما ندر»: «إن القول بأننا عرفنا الحقيقة، يعنى أننا عرفنا معناها، وبعبارة أخرى أننا بحثنا عن وجود شىء ما وعن أحواله ففسرناه، وأكثر معارفنا العلمية تدخل فى هذا النطاق فهى فى الحقيقة تفسيرات للملاحظة» ويستطرد فيقول: «عندما نذكر ملاحظة، فإننا نقصد شيئًا أكثر من المشاهدة الحسية المحضة، فمعناها **الملاحظة الحسية والتعرف** بما يشمل جانب التفسير».

ثم انتقل بعد ذلك إلى مناقشة مشكلة تعيين حقائق الأمور، وفى ذلك يقول بأن الدين والعلم كليهما يعتمد على الإيمان بالغيب، غير أن دائرة الدين تتعلق بتعيين حقائق الأمور نهائيّا وأصليّا، أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية، واستشهد فى ذلك بقول سير «آرثر إدنجتن» الذى يقول فيه: «وهكذا نجد لكل شىء صورة ذات وجهين أحدهما ملحوظ والآخر صورة فكرية لا سبيل إلى مشاهدتها بأى ميكرسكوب أو تليكسوب» والوجه الأول يشاهده العلم، غير أنه لا يستطيع الادعاء بأنه يشاهد الوجه الآخر. وعندما يجتمع لدى عالم من العلماء قدر مناسب من الحقائق الملحوظة فإنه يحس بضرورة وضع **نظرية** أو **فرض علمى** «أى فكرة اعتقادية وجدانية» تقوم بتفسير الملاحظات، وربط النتائج بعضها ببعض، فإذا نجحت هذه الفكرة فى تفسير المشاهدات تفسيرًا كاملاً عدت حقيقة علمية، برغم أنها لم تلاحظ قط، كما لوحظت غيرها من الحقائق بالمشاهدة، ومعنى ذلك أن العالم التجريبى يؤمن بوجود شىء غائب بمجرد ظهور نتائجه وآثاره، وهذا ما نسميه نحن - معشر المسلمين - باسم **الإيمان بالغيب**، وبمعنى آخر فإن النظريات العلمية ما هى إلا صورة ذهنية لتفسير القوانين المعلومة، هذا بالإضافة إلى أن المشاهدة الإنسانية لا يمكن أن توصف بالكمال، وبالتالى فإن جميع الاستنتاجات العلمية يمكن أن تتغير وتتطور باستمرار تطبيق المنهج العلمى القائم على عمليات التجربة والملاحظة والاستنتاج، وهنا يقال بأن النظريات العلمية الصحيحة ما هى إلا فروض عملية ناجحة، وعلى ذلك فإن تفسير الدين للطبيعة يبقى هو عين الحق، وهو تفسير لم يتغير، ولن يتغير على مر الدهور، على حين أنه ما من نظرية صاغها الإنسان إلا وطورت أو غيرت أو رفضت، وإن صدق الدين ليتجلى بعد كل خطوة يخطوها العالم فى تطبيقه للمنهج العلمى بالتجربة والملاحظة والاستنتاج، حتى ليصبح كل كشف علمى جديد تصديقًا لحقائق الدين.

obeikandi.com

ومن الملاحظات الواردة على هذا الباب إطلاق كلمة حقيقة على التجربة والقياس (ص٦١ السطر ٧) (وصفحة ٧٠ السطر ٣ و٧١ السطر ٥) ويا حبذا لو حلت كلمة الظواهر محل الحقائق فى الصفحتين الأخيرتين، كما أن عرض نظرية التطور العضوى فى الصفحات ٦٦ ـ ٦٨ قد تم بصورة غير متكاملة، ولو أن الموضوع كبير، إلا أنه كان من الممكن تلخيصه بصورة أفضل.

الباب الرابع: (الطبيعة تشهد بوجود الله)

فى هذا الباب حاول المؤلف إثبات أن الكشوف العلمية المؤكدة هى فى ذاتها تصديق لحقائق الدين، وفى ذلك بدأ باستعراض «نظرية التشكيك فى الوجود»، وانتهى بأن هذه الفكرة بكل ما تتضمن من الجهالة وانعدام الواقعية فكرة لا معنى لها فى ذاتها، ولم تحظ بالقبول فى دنيا العلم، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الوجود والخلق فذكر أن الإنسان يؤمن بأن له وجودًا، وبأن للكون أيضًا وجود، وعلى هذا الأساس تقوم جميع ألوان النشاط العلمى والحيوى، وأردف بأنه إذا آمنا بوجود الكون فلا بد وأن نؤمن بخالق هذا الكون؛ إذ لا معنى أن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود الخالق، فكل شىء عظم أو صغر وراءه علة، فكيف يمكن أن يجىء كون عظيم مثل كوننا ذاتيّا دون خالق؟ وعرج من ذلك على حقيقة أزلية الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وعدم أزلية المادة. وفى التدليل على حدوث المادة استشهد بقوانين الديناميكا الحرارية ـ خاصة ـ قانون الطاقة المتاحة، والذى يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليّا؛ حيث إن الحرارة تنتقل دائمًا من وجود حرارى إلى وجود غير حرارى، والعكس غير ممكن، وبالتالى فلا بد أن سيأتى وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات، فلا تبقى أية طاقة كافية للحياة فتنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية وبانتهائها تنتهى الحياة، وبهذا فقد ثبت أن لهذا الكون نهاية، وكل ما له نهاية لا بد أن له بداية وكل ما له بداية ونهاية هو مستحدث، فان لابد وأن له خالقًا عظيمًا، فكل ما له بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، بل لا بد له من المحرك الأول وهو الله الخالق البارئ المصور.

ثم عرج المؤلف بعد ذلك على الكشوف الفلكية، وتحدث عن اتساع الكون وعظمته، ثم على المجموعة الشمسية التى تنتمى إليها أرضنا ومكوناتها، وتحدث عن

تعقيد بناء الكون، ودقة نظامه، وانضباط حركته، مما يؤكد بأن هناك قوة مبدعة تهيمن على ذلك النظام العظيم.

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن بعض الأنظمة المعقدة فى الكون، فأشار إلى أن الذرة ـ وهى وحدة بناء المادة ـ مبنية على نفس نظام المجموعة الشمسية، وأن هذا النظام يستحيل قيامه بنفسه، وهو فى ذاته دليل واضح على وجود منظم قائم على هذا الكون، وانتقل الكاتب من الحديث عن الكون إلى الحديث عن الإنسان، وأثبت إعجاز بناء الجهاز العصبى فى الإنسان إلى درجة غاية فى الإعجاز، وعلى سبيل المثال فإن بلسان الإنسان ثلاثة آلاف من شعيرات التذوق لكلٍّ منها شعيرة عصبية خاصة متصلة بالمخ، كما توجد فى الأذن عشرة آلاف خلية سمعية، وفى كل عين مائة وثلاثون مليونًا من الخلايا الملتقطة للضوء، وبالجلد ثلاثون ألفًا من الخلايا الملتقطة للحرارة، وربع مليون من الخلايا الملتقطة للبرودة، وثلاثة ملايين من الغدد العرقية، كذلك فإن الجهاز العصبى فى جسم الإنسان ينقسم إلى عدة فروع، منها المتحرك ذاتيًا ومنها ما هو غير ذلك، والنوع الأول يسيطر على الأعمال التى تحدث ذاتيًا فى جسم الإنسان، وذلك من مثل عمليات الهضم والتنفس ونبضات القلب وغيرها، ويندرج تحت هذا النوع نظامان **أحدهما**: موجد للحركة **والآخر**: مانع لها، وهذان النوعان يباشران عمليهما فى دقة فائقة، فالنظام الأول يسود عند زيادة النشاط واحتياج القلب إلى قوة مسعفة فتزيد سرعة عمليات كلٍّ من القلب والرئتين، بينما يسود النظام الثانى عند النوم حين تهدأ جميع المحركات الجسدية، ولو تغلب النظام الأول فى وقت النوم لازدادت حركة القلب زيادة يترتب عليها موت صاحبه، ولو سيطر النظام الثانى فى وقت النشاط والحركة لتوقفت حركة القلب توقفًا تامًا. فمن الذى أحكم صنع ذلك غير الله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ . . . . ؟؟

وانتقل الكاتب بعد ذلك إلى الحديث عن كون الاختراعات العلمية فى مجموعها هى محاكاة لنماذج حية فى الطبيعة، وضرب أمثلة كثيرة، منها تشابه آلة التصوير بعين الإنسان، وأجهزة الرادار بأذن الخفاش، وغيرها من أجهزة التقاط الذبذبات تحت الصوتية بما يملكه كثير من الكائنات الحية، وفى ذلك يقول المؤلف: إذا كانت أجهزة التصوير والرادار وغيرها لا يمكن وجودها بغير عقل إنسانى، فمن المستحيل أن نتصور

أن نظام الكون ـ الذى هو أكثر تعقيداً من أى نظام آخر ـ قد قام بنفسه بغير قدرة وراءه، بل لا بد له من خالق عظيم هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن أن الكون متوازن ومتناسب إلى حد لا يمكن تصوره، وعلى سبيل المثال فإن الحياة على كوكبنا الأرض تحتاج إلى ظروف خاصة من المستحيل رياضيّا اجتماعها بنسبها المحددة ـ بمحض الصدفة، وهذا وحده يؤكد أن هناك عقلاً عظيمًا وراء هذا الكون هو الذى أوجده وهو الذى يرعاه؛ فكتلة الكرة الأرضية اختيرت بحكمة بالغة، فلو أن هذه الكتلة نقصت أو زادت عن متطلبات القوانين الحاكمة لمعدلات ارتباطها بالجاذبية مع الشمس لاستحالت الحياة فوق الأرض. كذلك فإن مجرد وجودنا على سطح الأرض وهى تدور بسرعتها الراهنة أمر معجز فى حد ذاته؛ حيث لا يمسكنا إليها إلا جاذبيتها وضغط الهواء عليها ولولا وجود هاتين القوتين لما أمكن تواجد أى مخلوق على سطح الأرض. . ثم إن بعد الأرض عن الشمس، ومدة دورانها حول محورها، وميل محورها والتركيب الكيميائى والصفات الطبيعية لكلٍّ من غلافيها الغازى والمائى، وسمك قشرتها وأعماق بحارها، وسمك غلافها الصخرى وتركيبه المحدد، كل ذلك مصمم بحكمة بالغة وتدبير دقيق. . فلولا الغلافان المائى والغازى لما أمكن أن تتواجد حياة على الأرض، ولو كان سمك قشرة الأرض أكثر قليلاً من سمكها الحالى لما وجد الأكسجين فى غلافها الجوى، وبدونه تستحيل الحياة. . ولو كانت البحار أعمق قليلاً لانجذب ثانى أكسيد الكربون والأكسجين إلى تلك الأعماق وانعدمت الحياة على الأرض. . ولو قل سمك الغلاف الغازى قليلاً لأحرقتنا النيازك التى تقذف الأرض سنويّا بأعداد هائلة وبسرعات كونية عالية، ولما أمكن حماية الحياة على الأرض من الأشعة الكونية التى تمطر بها فى كل لحظة، ولما أمكن الاحتفاظ للأرض بمتوسط حرارتها الثابت. . . كذلك فإن التركيب الكيميائى للغلاف الغازى للأرض معجز فى حد ذاته، فلو قلت نسبة الأكسجين مثلاً قليلاً لما أمكنت الحياة. . . ولو زادت قليلاً لكان بإمكان عود ثقاب أن يشعل الكرة الأرضية بأكملها فى التو والحال. واستشهد المؤلف أيضًا بقلة كثافة الثلج عن كثافة الماء؛ مما يحفظ البحار والأنهار من التجمد الكامل فى فصل الشتاء، وبالتالى يبقى على الحياة المائية تحت الجليد، وتحدث أيضًا عن الاتزان الدقيق بين مجموعات الحياة الحيوانية والنباتية فى كل واحدة من بيئات الأرض الكثيرة.

واستخلص الكاتب أن هذا كله يشير إلى ما أسماه باسم **«قانون الضبط والتوازن»** وفى ذلك يستشهد بقول أحد علماء الطبيعة : « . . . إن العلم لا يملك أى تفسير للحقائق، والقول بأنها حدثت بالصدفة إنما يعتبر تحديًا وإنكارًا للحسابات الرياضية».

وتحدث الكاتب كذلك عن السنن الرياضية المحكمة فى الكون، وأضاف أنه لو لم يكن هذا النظام الدقيق والضبط المحكم فى كلٍّ من بناء المادة وعمليات الطاقة لما وجد الإنسان أسسًا يقيم عليها كشوفه ومنجزاته العلمية، ولما أمكن التنبؤ بحدث من الأحداث، ولا بنتيجة من النتائج؛ لأن الأساس فى التنبؤ العلمى هو النظام الدقيق، والاضطراد فى العمليات المحددة، واستشهد على ذلك بالجدول الدورى للعناصر، وقال إن الترتيب المحكم لصفات العناصر المختلفة فى ذلك الجدول لا يمكن أن يوصف بالصدفة، وإنما هو قانون محكم، أحكمه الذى خلق العناصر، ووهبها هذه الدورية فى الصفات، وأضاف بأن عدم إيمان العلم الحديث بالإله الخالق، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله هو فى الواقع إنكار للكشوف العلمية، فالنظام فى الكون هو غاية فى الدقة والإحكام من الذرة إلى قطرة الماء، إلى الكواكب والنجوم والمجرات فى أجواء الفضاء. نظام نستنبط على أساسه قوانيننا العلمية التى نستخدمها فى تسخير كل ما فى الطبيعة وتوظيف ذلك فى عمران الأرض.

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن أن كثيرين من معارضى الدين يسلمون بالنظام العجيب والحكمة غير العادية فى هذا الكون، ولكنهم يفسرون ذلك كله بأنه جاء نتيجة للصدفة المحضة، والمنطق السوى يقول بأن الصدفة لا يمكن لها أن تنتج مثل هذا النظام الدقيق فى كل شىء من أشياء الوجود وفى كل أمر من أمور الكون. وعلوم الرياضيات تؤكد أن عمر الكون وحجمه كما حددهما لنا العلم الحديث غير كافيين فى أى حال من الأحوال لتسويغ إيجاد هذا الكون عن طريق الصدفة، وضرب الكاتب مثالاً على ذلك بالجزىء البروتينى الذى تتكون منه كل الخلايا الحية، وهو مركب كيميائى من خمسة عناصر هى: الكربون والهيدروجين والأكسجين والكبريت التى تكون جزيئات الأحماض الأمينية التى تتركب منها الجزيئات البروتينية. يشمل الجزىء البروتينى الواحد أربعين ألفًا من ذرات هذه العناصر، ولما كان فى الكون أكثر من مائة عنصر كيماوى، فهل يمكن أن تجتمع هذه العناصر الخمسة بنسبها المحددة لتكون الجزىء البروتينى بمحض الصدفة؟

لقد حسب الرياضى السويسرى «تشارلز يوجين جواى» أن إمكانية تكون جزىء بروتينى واحد عن طريق الصدفة يتطلب مادة مقدارها بليون ضعف المادة المعروفة الآن فى سائر أجزاء الكون المدرك حتى يمكن تحريكها وضخها، من أجل إنتاج جزىء بروتينى واحد بمحض الصدفة، وأن المدة اللازمة لذلك تبلغ أكثر من $١٠^{٢٤٣}$ سنة، وهى تبلغ ملايين المرات ضعف عمر الكون الحالى.

ثم أضاف بأن جزىء البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية يمكن تجميعها فيما يقرب من $١٠^{١٤٨}$ صورة، وأخطر ما فى العملية هو الطريقة التى تتحد بها هذه السلاسل بعضها مع بعض، فإنها لو اجتمعت فى صورة غير صحيحة لأصبحت سمّا قاتلاً بدلاً من أن تصبح مادة حية. وإنه من المستحيل تمامًا أن تجتمع هذه السلاسل بمحض الصدفة فى صورة مخصوصة من هذه الصور التى لا حصر لها.. ثم يضيف أن الجزىء البروتينى ذو وجود كيماوى لا يتمتع بالحياة إلا عندما يصبح جزءاً من الخلية الحية، فهنا تبدأ الحياة....، وهذا الواقع يطرح السؤال التالى: من أين تأتى الحرارة اللازمة لاندماج الجزىء البروتينى بالخلية؟ ولا يوجد لدى العلم التجريبى فى الوقت الحاضر إجابة على هذا السؤال. وفى جسد كل فرد منا ما يربو على مئات البلايين من هذه الخلايا. فأين المادة والوقت اللازمان لتكوين كل هذه الخلايا، ومادة الكون محدودة، وعمره أيضًا محدود؟

ومن ذلك يتضح أن المادة (غير ذات الروح) تحتاج إلى عمر كعمر الكون ($١٣,٧ \times ١٠^{٩}$ سنة) مضاعف إلى بلايين المرات، وكتلة مادية مثل الكتلة المعروفة للجزء المدرك من الكون الحالى مضاعفة إلى بلايين الأضعاف حتى يتسنى لجزىء بروتينى واحد أن ينتج بمحض الصدفة، فكيف إذن وجدت هذه البلايين التى لا تكاد تحصى من صور الحياة، والتى ينتظمها أكثر من مليون نوع من أنواع الحيوانات، وأكثر من ربع مليون نوع من أنواع النباتات؟.. ثم كيف جاء من خلال هذه الأنواع الحيوانية ذلك المخلوق الأعلى المسمى بالإنسان كما تفترض نظرية النشوء والارتقاء على أساس من تغيرات تتم بالصدفة المحضة؟ وقد حسب الرياضى (باتو) أن احتمال تغير ما فى نوع ما من أنواع الأحياء قد يستغرق مليونًا من الأجيال، وفى ذلك يقول العالم الأمريكى «مارلين ب كرايدر»: «إن الإمكان الرياضى فى توفر العلل اللازمة للخلق عن طريق الصدفة فى نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شىء».

obeikandl.com

وهذا الباب يعتبر من أروع ما ورد فى الكتاب، إلا أن هناك بعض الملاحظات التى يمكن إيجازها فيما يلى:

١ - فى ص ٧٥ السطر ١١ يذكر المؤلف «ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق» وكلمة من العدم هنا لا معنى لها، فالله - سبحانه وتعالى - قد أوجد الوجود من العدم، وإلا فكيف كانت له بداية؟

٢ - فى ص ٧٦ سطر ١٣، ١٤ يذكر المؤلف «فإن عدم كفاءة عمل الكون يزداد يومًا بعد يوم» وهذا تعبير خاطئ تمامًا، فإن الكون فى كل لحظة من لحظات وجوده يعمل بكفاءة بالغة، وإلا لما أمكنه أن يستمر فى تواجده.

٣ - فى ص ٧٨ السطر الثانى يذكر المؤلف «. . . وأن كل مجاميع النجوم والأجرام والأجسام الفلكية تتباعد بسرعة مدهشة بعضها عن بعض» والحقيقة أن الذى يتباعد هو المجرات، بينما يبقى حجم المجرات ثابتًا. وعلى ذلك، فإن وضع الأجرام الفلكية فى داخل كل مجرة يبقى ثابتًا إلى ما شاء الله بتجدد أجرام بدلاً من التى تستهلك فى التو والحال.

٤ - ص ٧٨ السطر الخامس والسادس يذكر المؤلف: «ويقدر العلماء أن هذا الكون قد وجد نتيجة لانفجار فوق العادة وقع منذ (٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة. والحقيقة أن العمر الذى قدره العلماء لأقدم صخور الأرض التى نعيش عليها هو (٤٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة، وللكون هو (١٣,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة، وإن كان من المنطقى أن يكون عمر الأرض من عمر الكون؛ لأنهما خلقا فى لحظة واحدة، إلا أن صخور الأرض تدخل فى دورات من الانصهار والتجمد تبدد قدرًا من العناصر المشعة الموجودة بها مما يؤدى إلى تناقص كبير فى حساب أعمارها..

٥ - ص ٧٩ سطر ١ - ٥ كلام غير علمى، ويمكن الاستغناء عنه.

٦ - ص ٧٩ سطر ٩ يذكر المؤلف «أن هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق (١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠) سنة. والحقيقة أن أبعد المجرات عن الأرض يصل بعدها إلى (١٣,٢ بليون) سنة ضوئية، ولما كان الأرض فى مركز الكون بحسب العديد من الإشارات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كان قطر السماء الدنيا يقدر بأكثر من (٢٦,٤ بيلون) من السنين الضوئية.

٧ ـ جاء فى (ص ٧٩ سطر ٩) ما نصه: «يضاف إلى ذلك أن هذا الكون ليس بمتجمد» والتعبير الصحيح أنه ليس ثابت الحجم؛ لأن لفظة متجمد لها دلالة أخرى.

٨ ـ الفقرتان الأولى والثانية ص ٨٠ غير دقيقتين علميًا، وعلى سبيل المثال وردت فيهما كلمة كواكب بما يقصد به النجوم والفرق بينهما كبير جدًا.

٩ ـ جاء فى الأسطر من ١٤ ـ ١٦ من ص ٨١ ما نصه: (والمجرة التى يقع فيها نظامنا الشمسى تدور حول محورها بحيث تكمل دورة واحدة كل ٢٠٠ مليون سنة ضوئية)، والحقيقة أن مجموعتنا الشمسية هى التى تستغرق ٢٥٠ مليون سنة أرضية (وليست ضوئية) لكى تتم دورة كاملة حول مركز مجرتنا، أما المدة اللازمة لدوران مجرتنا دورة كاملة فتقدر بأكثر من ذلك بكثير.

١٠ ـ جاءت بعض الأخطاء فى الأرقام الواردة فى الصفحتين ٨١ (الفقرة الأخيرة) و٨٢ (الفقرة الأولى)، فالجزء المعروف من الكون يبلغ قطره أكثر ٤,٢٦ بليون سنة ضوئية، وأن المجرة العظمى (التى تنتمى إليها مجرتنا) يبلغ قطرها ٤٠ مليون سنة ضوئية، وسمكها عشر ذلك من السنوات الضوئية، بينما يبلغ قطر مجرتنا مائة ألف سنة ضوئية، وسمكها نحو عشر ذلك. وبمجرتنا من النجوم ما يزيد عن المائة ألف مليون نجم، كما أن بالسماء من أمثال مجرتنا ما بين مائتى ألف مليون مجرة وثلاثمائة ألف مليون مجرة، وأن أقرب المجرات إلينا بعد الشمس تبعد عنا بمقدار ٧٥٠ ألف سنة ضوئية، بينما أقرب النجوم إلينا يبعد عن الأرض بمقدار ٤,٣ سنة ضوئية.

١١ ـ جاء فى ص (٨٤ السطر ١١) ما نصه: «وسنجد أن هذه الإليكترونات لا تشغل أكثر من ١ / ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من مساحة الذرة»، والصواب أن قطر الإليكترون يبلغ ١ / ١٠٠,٠٠٠ من قطر الذرة.

١٢ ـ وجاء فى (ص ٨٤ سطر ١٢ ـ ١٤) ما نصه: «ولو أننا أخذنا صورة مكبرة لجزيئين من الإليكترون والبروتون، فسوف يكون الفاصل بينهما ما يقرب من ٣٥٠»، هذا الكلام ناقص ولا معنى له علميًا.

١٣ ـ كذلك جاء فى (ص ٨٥ السطر ١٥) ما نصه: «إن ملايين الأخبار تجرى على أسلاك نظامنا العصبى ـ الذى أوجدته الطبيعة ـ من جانب إلى آخر» إن جملة الذى أوجدته الطبيعة جملة خاطئة، فالطبيعة لم توجد شيئًا، ولا تستطيع أن توجد شيئًا.

obeikandl.com

١٤ ـ وجاء فى ص (٨٦ السطر ١٨) ما نصه: «إن ترجمة التعبير sympathetic system بالنظام الخالق للحركة ترجمة غير صحيحة؛ فهو معروف باسم «النظام السمبتاوى» أو «النظام العاطفى»، وفى السطر التالى وردت كلمة para-sympathetic بترجمة النظام المانع، وترجمتها الحقيقية النظام شبه السمبتاوى، أو شبه العاطفى.

١٥ ـ وجاء فى (ص ٨٩ السطر ٩) ما نصه: «لا بد للحياة فوق الأرض من أحوال كثيرة يستحيل اجتماعها بنسبها الخاصة رياضيًا» والصحيح أنه يستحيل اجتماعها بمحض الصدفة، وكلمة أحوال ليست سليمة علميًا، والصواب كلمة شروط (جمع شرط).

١٦ ـ وجاء فى (ص ٩١ سطر ٤) ما نصه: «أن يصير وزن الحيوان الذى يزيد رطلاً واحدًا» وصوابها يزن.

١٧ ـ وجاء فى(ص ٩٤ سطر ٣ ٤٠) ما نصه: «حتى جاءت الأرض فى صورتها الحالية منذ أكثر من مليون سنة مضت، وذهبت الغازات من فضاء الأرض إلى فضاء الكون» وهذا التعبير خاطئ تمامًا؛ حيث إن الأرض تكونت منذ أكثر من ٥ آلاف مليون سنة، وأن الغازات لم تذهب من فضاء الأرض إلى فضاء الكون؛ لأنها لو ذهت لما كان هناك غلاف غازى للأرض.

١٨ ـ وجاء فى (ص ٩٥ سطر ٣) ما نصه: «فلولا أن غلاف الأرض الهوائى يقينا من هذه الشهب لاحترقنا» والمقصود النيازك؛ لأن الشهاب هو نيزك يحترق بالكامل نتيجة لاحتكاكه بالغلاف الغازى للأرض.

١٩ ـ وجاء فى (ص ٩٧ سطر ٤، ٥) ما نصه: «تتركب معًا فتصبح عناصر عظيمة الأهمية للحياة الحيوانية» ولفظة الحيوانية هنا زائدة؛ لأن المركبات المشار إليها ضرورية للحياة بصفة عامة.

٢٠ ـ جاء فى (ص ٩٨) عدد من الأمثلة التى ضربت للشهادة على اتزان الحياة بصورة عامة على الأرض، وهذه الأمثلة ليست كافية؛ لأن هناك العديد من الأمثلة الأكثر دقة واستفاضة.

٢١ ـ جاء فى(ص ١٠٠ سطر ٧) كلمة «ستتجراد»، ومن الأفضل أن تذكر درجة مئوية .

٢٢ ـ جاء فى (ص ١٠١ سطر ٢، ٣، ٥، ١٣) كلمة خريطة للعناصر الكيماوية والخريطة الدورية، ولفظة الخريطة يجب أن تستبدل باسم الجدول الدورى للعناصر .

٢٣ ـ جاء فى (ص ١٠٢ سطر ٦) كلمة «كورنفال» هى فى الحقيقة كورن وول (Cornwall) .

٢٤ ـ جاء فى (ص ١٠٢ سطر ١٣) تعبير «الكواكب السحيقة»، والمقصود هو الكواكب البعيدة .

٢٥ ـ جاء فى (ص ١٠٢ سطر ١٥) تعبير «الكرات الفلكية»، والمقصود به الأجرام الفلكية .

٢٦ ـ جاء فى (ص ١٠٣ سطر ٩) تعبير «التحليل الكيماوى»، ويقصد به المركب الكيماوى .

٢٧ ـ جاء فى (ص ١٠٣ سطر ١٠) تعبير «التحليل النيتروجين»، وصحته لتثبيت النيتروجين .

٢٨ ـ جاء فى (ص ١٠٤ سطر ١) تعبير «احتك الرعد فى الفضاء»، وصحته رعد الرعد فى السماء .

٢٩ ـ جاء فى (ص ١٠٤ سطر ١٠) تنقص لفظة «تم» قبل كلمة اكتشافنا .

٣٠ ـ جاء فى (ص ١١٠ سطر ١٧) تعبير «عندما يندمج الجزىء بالخلية»، وصحته لاندماج الجزىء بالخلية .

٣١ ـ جاء فى (ص ١١١ سطر ١٩) تعبير : «إن الأرض لم توجد إلا منذ بليونين من السنين»، وصحته إلا من قبل ٥ آلاف مليون سنة .

٣٢ ـ جاء فى (ص ١١١ سطر ١٠) تعبير «وأن الحياة فى أى صورة من الصور لم توجد إلا قبل بليون سنة»، وصحته لم توجد قبل حوالي أربعة آلاف مليون سنة (٣,٨ بليون سنة) .

٣٣ـ جاء فى (ص ١١٢ سطر ٢) تعبير: «إن كوننا موجود منذ ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٥ سنة»، وصحته (١٣,٧) بليون سنة.

٣٤ـ (ص ١١٢ الفقرة الثانية) يجب أن تعاد صياغتها؛ لأن العلم لا يعرف الصورة القاطعة «سطر ٦» كما أن النظرية الواردة عن أصل الأرض ما هى إلا أحد الفروض المطروحة، وقد استحدثت فروض أخرى أكثر قبولاً منها.

٣٥ـ والفقرتان الثالثة والرابعة فى (ص ١١٢) وكذلك الفقرة الأولى والثانية فى (ص١١٣) عن تقدير عمر الأرض يجب أن تعاد صياغتها لما بها من أخطاء علمية واضحة، كتعريف عملية الإشعاع، وكذكر أن التجارب أثبتت أنه قد مر ١٤٠٠ مليون سنة على تجمد أقدم جبال الأرض، علمًا بأن أقدم الصخور الظاهرة على سطح القشرة الأرضية قد حدد عمرها بحوالى ٣٦٠٠ مليون سنة، وهى صخور جرانيتية تظهر فى منطقة «دودوم» بجمهورية تانزانيا، وأن كوكبنا الأرض قد تحول من صورته الابتدائية إلى صورته الحالية منذ خمسة آلاف مليون سنة على أقل تقدير، وليس منذ ألفى مليون سنة.

الباب الخامس: (دليل الآخرة)

عرف المؤلف الآخرة بأنها عالم آخر غير عالمنا الحاضر، هو عالم الخلود، بينما عالمنا هذا هو مكان للاختبار والابتلاء وجد فيه الإنسان لأجل معلوم، وأن الله ـ تعالى ـ سوف ينهى هذا العالم عندما يحين أجله، وأن الناس سيبعثون من بعد موتهم؛ وسوف تعرض أعمالهم على محكمة الله الذى يجزى كل إنسان بما عمل فى الحياة الدنيا. وفى ذلك بدأ المؤلف باستعراض عدد من القضايا التى منها ما يلى:

(أ) إمكان حدوث الآخرة: وتحت هذا العنوان قال مؤلف الكتاب إن فكرة الآخرة تقتضى أول ما تقتضى ألا يكون الإنسان والكون فى شكلهما الحالى أبديين، وقد أوضح فى أبواب الكتاب السابقة أن أبدية الكون والإنسان مستحيلة؛ فالإنسان يموت، والكون سينتهى فى وقت ما طبقًا لقانون الطاقة المتاحة، وكما أخفقت كل المحاولات لدرء الموت عن بنى الإنسان تخفق محاولاته للاحتفاظ بكونه من الفناء.

وليس أدلَّ على ذلك من الكوارث الطبيعية والأخطار التى تتهدد أرضنا فى كل لحظة من اللحظات كالزلازل والبراكين والعواصف والأعاصير، وفى ذلك يستشهد الكاتب بمقولة لعالم الطبيعة الأرضية «جورج جامو» التى يقول فيها «. . . هناك جهنم تلتهب تحت بحارنا الزرقاء ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان، وبعبارة أخرى نحن واقفون على ظهر لغم (ديناميت) عظيم، ومن الممكن أن ينفجر فى أى وقت ليدمر النظام الأرضى بأكمله». وأضاف كاتب الكتاب: الأستاذ وحيد الدين خان ما ترجمته: إن الزلازل الأرضية لدليل ناطق بأن خالق الأرض قادر على تدميرها فى أية لحظة يشاء، ثم يضيف المؤلف أن مجرد تصور الإنسان موضع الكوكب الذى يحيا عليه (الأرض) والفضاء الكونى وما يدور حوله من مهالك، التى منها أمطار الأشعة الكونية، واحتمال التصادم بين الأجرام السماوية، وارتطام النيازك ليؤكد فكرة الآخرة التى تقرر أن نظام الكون الموجود حاليًا سوف يدمر يومًا ما، فالقيامة حقيقة فى أعماقنا مشاهدة أمام ناظرينا، وهى تنتظر الأرض ومن عليها فى واقع الغد.

(ب) فكرة الحياة بعد الموت: وفى ذلك يستند المؤلف على أن بعثرة الذرات المادية فى الجسم الإنسانى لا تقضى على الحياة، فإن الحياة مستقلة بذاتها بعد بعثرة الذرات المادية وتغيرها، فمن المعروف أن بجسم الإنسان أكثر من ألف مليون مليون خلية يتبدل منه فى كل ثانية ١٢٥ مليون خلية فى المتوسط، ولو حسبنا معدل التجدد فى هذه العملية فسنجد أن الإنسان يغير خلايا جسده بالكامل مرة كل عشر سنين تقريبًا، بمعنى أن فناء الجسد المادى يستمر، ولكن الإنسان فى الداخل يبقى كما كان: شخصيته، علمه، عاداته، حافظته، أمانيه وأفكاره تبقى كلها كما كانت، إنه يشعر فى جميع مراحل حياته أنه هو هو الإنسان السابق الذى وجد منذ عشرات السنين، ولا يحس بأن شيئًا من أعضائه قد تغير، ولو كان الإنسان يفنى بفناء جسده لكان لزامًا أن يتأثر بفناء الخلايا وتبدلها بالكامل، وهذا فى حد ذاته يؤكد أن حياة الإنسان شىء آخر غير جسده، وهى باقية رغم تغير الجسد وتحلله. وعلى ذلك **فإن الشخصية تعرف بأنها عدم التغير فى عالم التغيرات**.

(جـ) ضرورة الآخرة: وبعد هذه المقدمة عرج المؤلف على ضرورة الآخرة، فقال: إن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم، هو المجازاة على أعمال الدنيا خيرًا كان أم شرًا

ويتضح ذلك حين تعلم أن أعمال كل إنسان تسجل وتحفظ بصفة دائمة وبغير توقف، وأن للإنسان أبعادًا ثلاثة يعرف من خلالها هي: نيته، وقوله، وعمله. وهذه الأبعاد الثلاثة تسجل بأكملها في الفضاء الكوني، فكل خاطرة تخطر على بال، وكل حرف يتحرك به اللسان، وكل عمل يصدر عن عضو من الأعضاء يسجل في الأثير (أي الفضاء)، ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات بكل تفاصيله ليعرف الإنسان كل ما قدمت يداه في هذه الدنيا.

كما تسجل أعمال الإنسان في الأثير فهي أيضًا تنقش في صفحة اللاشعور فلا تزول إلى الأبد، ولا يؤثر فيها تغيرالزمن. ويحدث هذا على الرغم من الإرادة الإنسانية. وهذا يؤكد بكل صراحة إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان في حيازته عندما يبدأ حياة الآخرة. فوجوده نفسه سوف يشهد على أقواله وأعماله ونياته. هذا بالإضافة إلى أن أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لأقوال الإنسان وأعماله وتفكيره بدقة فائقة وإلى الأبد، فكأننا نعيش أمام آلات تصوير وتسجيل دقيقة تعمل بلا انقطاع، ولا تفرق بين ليل أو نهار. وعلى ذلك فإن جميع أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا تسجل بدقة تامة، وأنها سوف تعرض أمام المحكمة الإلهية. والتاريخ يدلنا على وجود الحاجة إلى الآخرة كغريزة إنسانية منذ أقدم العصور. فإن تطلع الإنسان نفسه إلى عالم آخر لدليل في ذاته على أن شيئًا من ذلك موجود في الحقيقة التي أعدت هذا النظام العظيم لتحضير كل الأجهزة الكونية اللازمة لتسجيل الشهادات التي لايمكن تزويرها لكل فرد من أفراد الخلق المكلف.

(د) **الحاجة إلى الآخرة**: ثم عرج المؤلف إلى الحديث عن الحاجة إلى الآخرة، عن **ضرورة نفسية وضرورة أخلاقية**؛ حيث لم يخلق هذا العالم ليكون مسرحًا للمآسي والهمجية والقرصنة، ثم لا يلقى كلٌّ من الظالم والمظلوم جزاءه وفاقًا. والحاجة إلى الآخرة تنطلق أيضًا عن ضرورة سلوكية؛ إذ إن حاجتنا إلى الآخرة ملحة لتنظيم الحياة وإقامتها على أسس عادلة حقيقية، وهذه الحاجة هي في حد ذاتها تأكيد بأن الآخرة من كبريات حقائق الكون، ثم هناك **الضرورة الكونية** لتفسير حكمة الخلق نفسها، **وضرورة عمران الأرض، ثم الشهادة التجريبية،** أو كما يقول المؤلف إن أول دليل على الحياة الثانية هو حياتنا الأولى في حد ذاتها، فإمكان حدوث الحياة الأخرى أقوى نظريًا

من حدوث الحياة الأولى، ثم هناك **البحث النفسى**، وأساسه اللاشعور» الذى لا يدرك العلم له وجوداً محسوساً، فلو كان منقوشًا على الخلايا كالصوت مسجلاً على الأسطوانات فإن تلك الخلايا التى سجلت ذلك الحادث قبل سنين قد تحطمت وتبدلت ولم تصبح لها علاقة بالجسد الموجود الآن، وهذا فى حد ذاته شهادة تجريبية تثبت أن هناك عالمًا آخر خارج أجسامنا المادية، عالم مستقل بذاته استقلالاً كاملاً، وهذا العالم لا يفنى بفناء الجسد جزئيًا أو كليًا، وهناك **البحوث الروحية** التى تؤكد أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادى فى صورة لا نعلمها مما يؤكد أن الحياة بعد الموت واقع حقيقى، وفى ذلك يقول الدكتور «دوكاس»: «ويتضح من هذا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت ـ التى يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة دينية ـ ليس من الممكن أن تكون واقعًا فحسب، وإنما لعلها هى الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التى يمكن إثباتها بالدليل التجريبى . . .».

وهذا الباب من أجمل أبواب الكتاب؛ لأنه يناقش قضية طال فيها الجدل، وكان من الممكن حسم هذه القضية بالإشارة إلى حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب» (أخرجه الإمام مسلم). وهذا الحديث أثبته مختبريًا العالم الألمانى هانز سپيمان أستاذ علم الحيوان بجامعة هومبولت ـ برلين، ونال على إثباته جائزة نوبل فى العلوم سنة ١٠٣٥م دون أن يطلع على نص الحديث أو يعلم به.

الباب السادس: (إثبات الرسالة)

ذكر المؤلف أن من العقائد المهمة فى الدين، بعد الإيمان بالله، الإيمان بالرسالة (أو الوحى والإلهام) ومعناها أن الله ـ تعالى ـ ينزل هدايته لخلقه على إنسان يختاره من بين الناس ليخبرهم بما يأمر به ـ سبحانه وتعالى ـ وللتدليل على ذلك ذكر أن كثيراً من الوقائع التى تجرى من حولنا نعجز عن إدراكها بواسطة حواسنا، بينما يستطيع العلم أن ييسر لنا إدراكها بفضل الاختراعات الحديثة التى تمكننا أن نسجل صدام الأشعة الكونية فى الفضاء مثلاً. وكان اختراع هذه الأجهزة الدقيقة استنباطًا مما تتمتع به المخلوقات

الحيوانية من أجهزة غاية فى الدقة؛ فهناك كثير من الحيوانات تستطيع أن تسمع موجات صوتية لا تدركها حاسة السمع فى الإنسان، وهناك من البشر من يمكنه التواصل مع غيره عن بعد دون واسطة مادية، وهو ما يسمى بقوة الإشراق. وهنا يستدرك الكاتب فيقول: «وإذا كان الأمر كذلك، فما وجه الغرابة فى قول إنسان إنه يسمع صوتًا من لدن ربه لا يدركه عامة الناس، ويضيف «إن الله تعالى - لحكمة يعلمها - يرسل رسائله بوسائل خافتة خفية إلى الإنسان المختار للرسالة بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها» ويستخلص المؤلف أنه لما كان الإنسان يستطيع تحويل الأفكار بأكملها إلى إنسان آخر على بعد غير عادى منه وبدون استعمال أية واسطة مادية ظاهرية، فلماذا تستحيل هذه العملية بين الإله وعباده؟. !! إن الإشراق أمر معروف لدى الناس، وهو يدلنا على فهم النظام الإشراقى العظيم بين الإله والعباد، والذى يكون فى أكمل صورة حين يبلغ درجة الوحى الذى يمكن وصفه بأنه إشراق كونى من نوع الإشراقات التى نعهدها فى حياتنا على مستويات محدودة.

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن **ضرورة الرسالة** فقال: إن أكبر دليل على ذلك هو أن الأمر الذى يخبر عنه الرسول هو من أهم ما يتعلق بحياة الإنسان ومصيره وهو من الحقائق التى لم يستطع الإنسان أن يهتدى إليها بجهوده الشخصية، وفى هذا أكبر دليل على أن الإنسان فى حاجة إلى هدى الله.

وانتقل الكاتب الكريم بعد ذلك إلى الحديث عن مقياس الرسالة، فقال: إن من أعظم الأدلة على صحة دعوى نبوة سيدنا محمد ﷺ أنه رجل مثالى بصورة غير عادية، وهذا طبيعى؛ لأن الذى يصطفى ليكون كليم الله وليكشف للإنسان دوره فى الحياة، لا بد وأن يكون أسمى شخصية إنسانية فى زمانه، كما لا بد وأن يكون حاملاً للمثل العليا فى الحياة العليا. فإذا كانت حياته الذاتية متصفة بكل ذلك فهى أكبر دليل على صحة ما يقول، ثم إن كلامه ورسالته - صلوات الله وسلامه عليه - مليئتان بجوانب من الكمال البشرى يستحيل تحققها للإنسان العادى، ولا يمكن لبشر عادى محاكاتها، وفى ذلك يستشهد الكاتب الكريم بقول للدكتور لتز جاء فيه ما ترجمته: «إننى لأجرؤ بكل أدب، أن أقول: إن الله الذى هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها، لو كان يوحى إلى عباده فدين محمد هو دين الوحى، ولو كانت آيات الإيثار، والأمانة والاعتقاد الراسخ

القوى، ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل، هى الشاهدة على الإلهام، فرسالة محمد هى هذا الإلهام».

وهذا الفصل أيضًا من الفصول الجيدة فى الكتاب، وإن كان المقام لا يزال محتاجًا إلى مزيد من الأقوال العديدة المنصفة لمقام خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ والصادر عن العديد من الشعراء والأدباء، والفلاسفة والمفكرين من غير المسلمين.

الباب السابع: (القرآن صوت الله)

فى هذا الباب يقول المؤلف: إن الكتاب الذى جاء به صاحب الرسالة الخاتمة ﷺ مثبتًا أنه منزل من عند الله، فإن هذا الكتاب المسمى باسم القرآن الكريم يفيض بما يدل صراحة على أنه ليس بكلام إنسان، وأنه حقًا وحى من الله، واستدل على ذلك **بإعجاز القرآن من النواحى اللغوية والتاريخية والعلمية**، فمما لا شك فيه أن العرب ـ وهم الذين لم يعرف لهم مثيل فى التاريخ، فى البلاغة والبيان ـ قد ركعوا أمام القرآن معترفين بعجزهم عن الإتيان بمثله، فلزمتهم بذلك الحجة، ومن الناحية التاريخية لا نجد غير القرآن الذى تحققت نبوءاته حرفًا حرفًا، وهذا الواقع وحده يكفى لإثبات أن هذا الكلام صادر عن عقل فوق الطبيعة يمسك بزمام الأحوال والحوادث، وهو على معرفة بكل ما سيحدث منذ الأزل وإلى الأبد، وفى ذلك يستشهد المؤلف بالآيات الكريمة التالية: (١) ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ (المجادلة: ٢١). (٢) ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (الصف: ٨). (٣) ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (التوبة: ٣٣). وهى نبوءات بانتصار المسلمين جاءت فى وقت كانوا فى أسوأ أحوالهم مكشوفين فى عراء المدينة المنورة، يترقبون الأعداء من كل جانب. (٤) وكذلك الآية الكريمة التى يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**الم ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ (الروم: ١ ـ ٤).

ومن مزايا القرآن الكريم التى تشهد بأنه وحى من الله العظيم أنه على الرغم من نزوله قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة فإن جميع الإشارات العلمية التى وردت

به صحيحة غاية الصحة، دقيقة غاية الدقة، يبدو إعجازها بازدياد الكشوف العلمية، ولم يستطع أحد على مر التاريخ، ولن يستطيع أحد من اليوم وحتى قيام الساعة إثبات خطأ واحد فى القرآن الكريم علمًا بأن أعمال العلماء المتخصصين والبارزين فى تخصصاتهم لا يكاد ينقضى عليها بضع سنين حتى تتكشف عيوبها ويتضح قصورها وعوارها، وتبين جوانب النقص بها.

وفى ذلك يقول المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ: إن من آيات القرآن الكريم ما عرف عنه الإنسان ـ حتى ذلك العصر ـ أموراً جانبية وسطحية، ومنها ما لم يعرف عنه شيئًا، وعلى ذلك فإن مطابقة كلمات القرآن وألفاظه لكثير من الكشوف العلمية الحديثة مفاده أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعة موضوع البحث، فتوفرت لدينا أفكار نافعة لتفسير الإشارات القرآنية فى ذلك الموضوع، ولو أن دراسة المستقبل فى موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليًا أو جزئيًا فليس هذا بضائر صدق القرآن، بل معناه أن المفسر قد أخطأ فى محاولته لتفسير إشارة مجملة فى القرآن. ويقول المؤلف: إنه لعلى يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة ستكون أكثر إيضاحًا لإشارات القرآن، وأكثر بيانًا لمعانيه الكاملة. واستشهد المؤلف فى ذلك بعدد من الآيات القرآنية واستنتاجاتها العلمية فى كثير من المجالات، واتفاق ذلك مع أحدث الكشوف العلمية وأدقها.

وهذا الباب أيضًا من أجمل ما جاء بالكتاب وإن كان هناك عدد من الأخطاء التى وردت فيه، والتى يمكن إيجازها فيما يلى:

١ ـ جاء فى (ص ٢١١، سطر ١٤، ١٥) النص التالى: «ويبقى الماء عذبًا تحت الماء الأجاج» والحقيقة أن الماء العذب أقل كثافة من الماء المالح؛ ولذلك يطفو على سطحه ولا يوجد تحته.

٢ ـ كذلك جاء فى (ص ٢١١، سطر ٢١) ما نصه: «قانون المط السطحى» وصحته «التوتر السطحى».

٣ ـ جاء فى (ص ٢١٥ الفقرة الأولى) النص التالى: «. . . تمثل إحدى النظريات الواردة فى هذا المعنى، وهى كثيرة، ومنها ما هو أحدث من تلك النظرية التى أوجزت»

وربما كان من الأنسب سرد النظريات كلها، أو على الأقل أحدثها. وقد ورد فى هذه الفقرة ما يلى: «وقد حدث انفجار شديد فى هذه المادة قبل ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة على الأقل «بينما يثبت العلم الحديث أن العناصر فى مجرتنا قد تكونت فى حدود الفترة من ٧٠٠٠مليون إلى ٦٥٠٠ مليون سنة مضت. وفى الفقرة الثانية يذكر المؤلف ما ترجمته: «ويعتقد العلماء أن دائرة المادة كانت ألف مليون سنة ضوئية فى أول الأمر، وقد أصبحت هذه الدائرة الآن كما يقول البروفيسور إدينجتون عشرة أمثالها، وهذه العملية من التوسع والامتداد مستمرة دونما توقف، وفى الحقيقة إذا رجعنا بعملية الاتساع هذه مع الزمن إلى الوراء بعملية معاكسة لسرعة انتشار المجرات وتشتتها فى الفضاء يثبت أنها كانت كلها فى الماضى البعيد متقاربة من بعضها، وأن المسافات بينها تقل كلما تقادم بنا الزمن حتى نصل إلى الجرم الأول الذى احتوى على كتلة وطاقة الكون الذى نراه الآن لاجتمعت فى حجم لا يتجاوز أكثر من ثلاثين مرة حجم الشمس، وبكثافة تقارب ٢٥٠ مليون طن للسنتيمتر المكعب». والجسم الأولى كان متناهى الضآلة فى الحجم حتى لا يكاد يدرك، ومتناهى الضخامة فى كم المادة والطاقة حتى لتتوقف عندها كل قوانين الفيزياء النظرية والكمية.

٤ـ جاء فى (ص ٢١٨) المسمى «علم طبقات الأرض»، وصحته «علوم الأرض».

٥ـ جاء فى (ص ٢٢٠ سطر ١٩) النص التالى: «وكأن نجد فيها دواب وأسماكًا ونباتات» والصحيح بقايا كائنات حيوانية ونباتية.

٦ـ جاء فى (ص ٢٢٢) عدد من الأرقام على الخرائط، وهى أرقام غير دقيقة.

الباب الثامن: (الدين ومشكلة الحضارة)

وفيه يثبت المؤلف أن البشر لا يستطيعون وضع دستور لهم بدون هدى من الله، ويستشهد فى ذلك بقول للدكتور «فريدمان» جاء فيه ما ترجمته: «. . . لا بد من هداية الدين لنقيم المعيار الحقيقى للعدل. والأساس الذى يحمله الدين لإعطاء العدل صورة عملية ينفرد هو به فى حقيقته وبساطته». ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى مصدر التشريع فيقول إن مصدرالتشريع هو الله وحده، خالق الكون، فالذى أحكم قوانين الطبيعة هو

وحده الذى يليق به أن يضع دستور حضارة الإنسان ومعيشته، وليس هناك من أحد غيره ـ سبحانه ـ يمكن تخويله هذا الحق، فلا يمكن قبول إنسان حاكمًا ومشرعًا للإنسان؛ حيث إنه لا يتمتع بهذا الحق إلا خالق الإنسان وحاكمه الطبيعى وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى العناصر الأساسية للتشريع، فيقول: إن الحل الوحيد لمشكلتنا هو الشرع الإلهى الذى يمنحنا جميع العناصر الأساسية الضرورية ويترك الباقى مفتوحًا للاجتهاد بحسب الزمان والمكان. والتشريع الإلهى لا يستطيع الإنسان ـ مهما أوتى من أسباب الذكاء والفطنة ـ أن يأتى ببديل عنه.

وبعد ذلك ينتقل الكاتب إلى تحديد مفهوم كلٍّ من الجريمة، والقانون، والأخلاق، ويتحدث عن **القانون والفرد، والقانون والعدل،** ثم يعرج على موضوع **المرأة والمجتمع،** ثم يتحدث عن قضية **التمدن والمعيشة،** ويوجز ذلك كله بقوله: إن التجارب القاسية التى خاضتها البشرية تؤكد لنا أن الله الذى يعرف دقائق الطبيعة البشرية، ويفهم عمق مسائلها ومشكلاتها يجب أن يكون هو ـ ولا أحد سواه ـ واضع قوانينها، فهو منبع القانون الحقيقى، ويؤكد ذلك أن فى الدين جوابًا محددًا لكل الأسئلة التى تؤرقنا فى حياتنا الدنيوية، وفيما بعد هذه الحياة الدنيوية. إنه يوجهنا إلى المَشرِّع الحقيقى، ويضع لنا الأساس السليم للقانون الإلهى، وهو يمنحنا أساسًا صائبًا لكل مسألة فى الحياة البشرية، وهو الصورة الوحيدة للمساواة الكاملة بين الحاكم والرعية، ويهيئ الأساس النفسى الذى يصبح القانون بدونه بلا فائدة، كما يخلق لنا ذلك المناخ المناسب الذى لا بد منه لتطور أى مجتمع تطورًا حيويًا وفعالاً.

وفى هذا الباب تألق الكاتب كأحد الفلاسفة المسلمين المعاصرين تألقًا واضحًا للعيان فجزاه الله خير الجزاء.

الباب التاسع: (الحياة التى ننشدها)

فى هذا الباب الأخير من الكتاب يصور المؤلف فى خاتمة مطافه صورة الحياة التى ننشدها فيقول: «إن الحالة التى تنعدم فيها الطمأنينة والاستقرار لدى القلوب المحرومة من رحمة الله ليست مسألة أيام هذه الدنيا المؤقتة وسنيها، وإنما هى أهم من ذلك بكثير،

إنها مسألة أزلية وأبدية، تتمثل فيها آثار الحياة المعتمة الحالكة التى يقف عليها هؤلاء، إنها البادرة الأولى لحياة الحنق الأبدية التى سوف يواجهونها بعدم موتهم. . إنها أجراس التنبيه الأولى فى حياتهم، تنذرهم بالأحوال الرهيبة والظروف المردعة التى تنتظرهم. . !!»

واختتم كتابه بمقتطف من كلام العالم الأمريكى «كريسى موريسون» الذى يؤكد فيه على ضرورة الإيمان بالله، فيقول: «إن الاحتشام، والاحترام والسخاء وعظيم الأخلاق، والقيم والمشاعر السامية، وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية - لا يمكن الحصول عليه عن طريق الإلحاد؛ فالإلحاد نوع من الأنانية؛ حيث يحاول الإنسان المجد الجلوس على كرسى الله وهو مقام لا يمكن للإنسان الوصول إليه. . . !! لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين، سوف يتحول النظام إلى فوضى. . . ، سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك بالقيم. . . ، سوف يتفشى الشر فى كل مكان، إنها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله».

تعليق

على الرغم من أن الكتاب لم يخل من بعض الملاحظات التى سبق أن أشرنا إليها بإيجاز خلال العرض السابق، **إلا أنه يعتبر فتحًا جديدًا فى أسلوب مخاطبة العقل البشرى فى عصر طغت فيه المادة**، وبعد فيه الناس عن طريق الله، وفتنوا فتنة كبيرة من إنجازات بما حققه العلم والتقنية الحديثة، سواء كان ذلك فى الغرب أو الشرق. ففى الغرب كان فشل الكنيسة فى إقناع الناس سببًا فى الموقف العدائى الذى اتخذه عدد كبير من الكتاب والمفكرين من ضرورة الإيمان بالله، . . وفى الشرق كان تخلف المسلمين علميًا وتقنيًا سببًا فى فتنة بعضهم بالإنجازات العلمية الحديثة، كما كانت سببًا رئيسيًا فى ندرة العالم المسلم الذى يكتب فى مجال تخصصه انطلاقًا من قاعدة الإيمان الصادق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن سيدنا ونبينا محمدًا هو خاتم أنبياء الله ورسله، وأنه ﷺ كان موصولاً بالوحى ومعلمًا من قبل خالق السماوات

والأرض ـ سبحانه وتعالى ـ ولذلك وصفه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بأنه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم : ٣ ـ ٥] ؛ ولذلك عاش المسلمون فى هذا العصر على فتات موائد الفكر الغربى ، فجاءت كتاباتهم فى أغلب الأحوال ترجمة مشوهة للفكر الغربى الذى ينطلق فى أساسه من قاعدة مادية بحتة . وفى وسط هذا البحر الزاخر من البلبلات الفكرية ، والتشويه ، والتحريف المقصود وغير المقصود ضاعت رسالة الإنسان فى الحياة من أغلب الناس ، كما ضاع كثير من المفاهيم الأساسية التى حققها العلم الحديث فى إثبات عظمة الكون وعظمة خالقه ، وإثبات أن لهذا الكون بداية ، وأنه لا بد أن ستكون له فى يوم من الأيام نهاية ، وأن هذا الكون كله على دقة بنائه ، وشدة ترابطه ، وعظمة اتساعه محفوف بالمخاطر ، و أنه لولا رحمة الله ـ تعالى ـ بخلقه ، ورعاية هذا الخالق العظيم لعباده وللكون كله ما كان هذا الوجود أبدًا . . . ! فالله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى خلق هذا الكون على أدق صورة وأروعها هو الذى يرعى خلقه ، ولولا رعايته لنا ولكل ما فى هذا الكون من وجود لهلكنا وهلك كل ما حوالينا . هذه حقائق أكدها العلم الحديث بما لا يرقى إليه شك ، كما أكدتها الفطرة السوية والمنطق السليم ، ولم يبق إلا أن يحمل مشاعلها رجال ونساء يؤمنون بها ، ويفهمونها حق فهمها ، ويحملونها إلى أهل الأرض جميعًا باللغة الوحيدة التى يفهمونها اليوم ، ألا وهى لغة العلم التى أصبحت هى لغة العصر . . وهنا يأتى كتاب «**الإسلام يتحدى**» خطوة على الطريق أرجو أن تتبعها خطوات فنرى كتب العلوم ، والفنون ، والآداب التى يدرسها طلابنا فى المدارس والمعاهد والجامعات ، والتى يتداولها عامة الناس وخاصتهم على حد سواء تُبنى على هذا الفهم الإيمانى العميق ، وتنطلق من منطلقه . . وحينئذ سوف يتربى الشاب المسلم والفتاة المسلمة على المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، ويتجنب الجميع ما يعانونه الآن من تشتت فكرى ، ونفسى ، بين ما أشبعت به نفوسهم فى بيوتهم ومجتمعاتهم المسلمة من ركائز الإسلام العظيم ، وبين ما يتلقونه فى مختلف مراحل التعليم من فكر غربى مستورد ، أساسه الإلحاد ، ومنطلقه أبعد ما يكون عن الإيمان .

ويوم أن نتمكن من إيجاد الكيميائى المسلم والفيزيائى المسلم والجيولوجى المسلم والمهندس المسلم والطبيب المسلم . . إلخ . . ويوم أن يفهم كلٌّ من هؤلاء تخصصه من

منطلق إيمانى صحيح، ويكتب فيه من هـذا المنطلق بلغة العصر ومنطقه سيفتح الله ـ تعالى ـ بهم أرجاء العالم شرقه وغربه؛ فإن الأصل فى النفس البشرية الخير، والشر حالات طارئة عليها، وإن هذه النفوس الظمأى فى مختلف أنحاء العالم لتتطلع إلى رواد مسلمين جدد ينبغون فى علوم العصر، ويحملون بيد أفكاره، وباليد الأخرى يحملون مشعل الدعوة إلى الإيمان بالله.

وجزى الله الكاتب المؤمن، والمترجم الصادق، والمراجع الأمين خيرًا على هذا الجهد الطيب الذى أرجو أن يكون بداية تتبعه جهود أشمل وأكمل وأتم، والله من وراء القصد، وهو الموفق والمستعان، والهادى إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

***

obeikandl.com